

أضواء البيان

@ 309 @ وعلا في هذه الآية الكريمة : أنه لا أحد أظلم . أي أكثر ظلماً لنفسه ممن ذكر . أي وعظ بآيات ربه ، وهي هذا القرآن العظيم (فأعرض عنها) أي تولى وصد عنها . وإنما قلنا : إن المراد بالآيات هذا القرآن العظيم لقريئة تذكير الضمير العائد إلى الآيات في قوله { أَلَمْ يَفْقَهُوهُ } ، أي القرآن المعبر عنه بالآيات . ويحتمل شمول الآيات للقرآن وغيره ، ويكون الضمير في قوله { أَلَمْ يَفْقَهُوهُ } أي ما ذكر من الآيات ، كقول رؤية : وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ } . ذكر جل وعلا في هذه الآية الكريمة : أنه لا أحد أظلم . أي أكثر ظلماً لنفسه ممن ذكر . أي وعظ بآيات ربه ، وهي هذا القرآن العظيم (فأعرض عنها) أي تولى وصد عنها . وإنما قلنا : إن المراد بالآيات هذا القرآن العظيم لقريئة تذكير الضمير العائد إلى الآيات في قوله { أَلَمْ يَفْقَهُوهُ } ، أي القرآن المعبر عنه بالآيات . ويحتمل شمول الآيات للقرآن وغيره ، ويكون الضمير في قوله { أَلَمْ يَفْقَهُوهُ } أي ما ذكر من الآيات ، كقول رؤية : % (فيها خطوط من سواد وبلق % كأنه في الجلد توليع البهق) % . وتظهر ذلك في القرآن قوله تعالى : { قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌ بَيْنَ ذَلِكَ } أي ذلك الذي ذكر من الفارض والبكر . ونظيره من كلام العرب قول ابن الزبيري : قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌ بَيْنَ ذَلِكَ } أي ذلك الذي ذكر من الفارض والبكر . ونظيره من كلام العرب قول ابن الزبيري : % (إن للخير وللشر مدى % وكلا ذلك وجه وقبل) % .

أي كلا ذلك المذكور من خير وشر . وقد قدمنا إيضاح هذا . وقوله { وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ } أي من المعاصي والكفر ، مع أن الله لم ينسه بل هو محصيه عليه ومجازيه ، كما قال تعالى : { يَوْمَ يَدْعُئُهُمُ اللَّهُ جَمِيعاً فَيُذَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا أَوَّحَاثاً وَاللَّهُ وَاسِعٌ } ونسوه على كل شدة شهيد ، وقال تعالى : { وَمَا تَتَذَكَّرُ إِلَّا بِرَأْمِ رَبِّكَ لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيّاً } ، وقال تعالى : { قَالَ عَلَّمُهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنْسَى } . وقال بعض العلماء في قوله { وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ } أي تركه عمداً ولم يتب منه . وبه صدر القرطبي رحمه الله تعالى . وما ذكره في هذه الآية الكريمة من

إن الإعراض عن التذكرة بآيات الله من أعظم الظلم ، قد زاد عليه في مواضع آخر بيان أشياء من النتائج السيئة ، والعواقب الوخيمة الناشئة من الإعراض عن التذكرة . فمن نتائج السيئة : ما ذكره هنا من أن صاحبه من أعظم الناس ظلماً . ومن نتائج السيئة جعل الأكنة على القلوب حتى لا تفقه الحق ، وعدم الاهتمام أبداً كما قال هنا مبيناً بعض ما ينشأ عنه من العواقب السيئة : { إِنْ زَكَا جَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِيءَ إِذْ أَنْزَلْنَاهُمْ وَقُرْآنًا وَإِنْ تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَى فَلَنْ يَهْتَدُوا إِذًا أَبَدًا } ومنها انتقام الله جل وعلا من المعرض عن التذكرة ، كما قال تعالى : { وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا إِنْ زَكَا مِنْ الْمُجْرِمِينَ مُنْتَظِمُونَ } . ومنها